الزواج والطلاق

كان الزواج لدى اكثر الامم من عهد ليس ببعيد وهو معدود من الامور الجوهرية حتى لقد كان يعد بمثابة حياة جديدة او طارئ عظيم على الحياة وكان الطلاق كذلك امراً شديداً على النفس حتى بين الشعوب التي تبيحه وامافي هذا العهدفقد تبدل كل هذا تبديلا واضحاً واصبح وقع الزواج والطلاق على النفس محمولا ميسوراً وذلك ليس لان وسائط الزواج قدقلت بل لان التبعة منه قد هانت وتيسرت وصار اكثر المسلمين يمعنون في الطلاق لاسباب ضعيفة او لغير اسباب واصبح كثيرون من المسيحيين ولا سيما في اوربا يطلقون نساؤهم ونساءهم يطلقنهم لاسباب لم تكن تحسب اعذاراً من قبل ولا ترضى بها سنة ولا دين

ولقد بحث احد الكتاب في شأن الطلاق باوربا فوجده مسبباً عن انتشار الثروة بين اهلها واعتماد المرأة على نفسها وانصراف اكثر الناس الى اللهو والمسرات غير متحملين تلك التبعة الثقيلة التي كانت من قبل وغير معتبرين الزواج امراً مقدساً كما كان فيما مضى كما ان تقدم المدنية نفسها هو الذي اوجب تأخر ذلك الجانب بحيث صار يعتبر الطلاق الان مقياس المدنية بين الشعوب فحيث يكثر وتضعف اسبابه يكون التمدن وافراً تام الاسباب

الا انه قد وجد انه ليس شرطاً ان تضعف المدنية ليشتد الزواج ويصبح شأنه مقدساً وتبعته ثقيلة بل انه في الامكان ان تكون المدنية تامة والطلاق

ضيق النطاق واضح الاسباب وذلك بان يرد الطلاق الى الاسباب الدينية المعروفة مع شيء من التساهل فيها لان ذلك الباحث يعتقد ان الرجل لدى الزواج بمثابة الصبي لدى المدرسة فاذا كلف الصبي درساً شاقا عسيراً فهمه فانه يحفظه ويتولاه بالعناية لما يجد من صعوبته حتى يتم علمه بخلاف ما لو كلف درساً سهلاً فانه يحتقره ولا يحفل به . ثم انه قد وجد ان الطلاق بعمومه ليس خلقاً من اخلاق النفس او هو مما يجري مع عواطفها بل هو تلقين وعادة فاذا ارهبت الشرائع الناس وعودتهم التزام الزواج وضيقت عليهم دوائر الطلاق فانهم يعتادون ذلك ويكبحون نفوسهم عن التمادي في مشتهياتها فيصير الرجل غافراً لامرأته ذنوبها او غير شاعر بان تقصيرها يعد تقصيراً يوجب الطلاق كما هو الشأن في الغضب فانه من اقدم اخلاق النفس واكثرها رسوخاً في كل انسان ولكنه مع ذلك يختلف لدى النتيجة باختلاف العقاب عليه والاعتبار لدى انظار الناس فان الانسان اذ يغضب على احد لدى من هو دونه او مثيله فانه قد يؤذي ويفتك بالمغضوب عليه بخلاف ما لو كان قد غضب في حضرة من هو ارفع منه مقاماً او اكبر سناً فان سورة غضبه تخف حتى لقد يكظم غيظه اصلاً عن احترام او خوف فلا يبدو منه شيء فلو كانت قوانين الطلاق بمثابة وجيه محترم مرهوب فان اسبابه الحاضرة لا تعود في نظر الناس اسباباً كافية للطلاق وبذلك يمتنع اصلا كما هو ممتنع الان لدى الشعوب الباقية على عهدها القديم من احترام الكنائس والخوف من عقابها والتضييق البادي منها

ولقد نظر في هذا الشأن باحث آخر فتبين له ان ليس التمدن بصورته الحاضرة هو الداعي الى الطلاق ولا الثروة هي التي سببته وانما السكر الشديد

هو الذي دعا اليه وقد استشهد على ذلك السجلات الرسمية فظهر له منها ان نصف المطلقين والمطلقات كانوا من السكيرين جداً الذين هم دائماً على خلاف في الرأي واحتياج للمال فكانت المحاكم تضطر الى السماح بطلاقهم معتبرة ذلك اخف عليهم من ان يجتمع لهم السكر والفاقة واللجاجة الدائمة مما قد تاتي عواقبه باشد من عواقب الطلاق ذاته

الا انه لما كان السكر قد فشا كثيراً بين الناس حتى صارت النساء تشارك الرجال فيه على حد سوا فقد اصبح الزواج ذاته ضعيفاً قليلا واصبح السكير والسكيرة يريان تبعته شديدة عليهما فلا يقدمان عليه واذا باشراه حدث طلاقهما باسباب لا بد ان تجئ من السكر ولهذا لا يبعد ان يجيء يوم يصبح فيه الزواج والطلاق كأنهما شركة في دكان تعقد لحين معلوم او تحل ساعة لا يكون رضى واتفاق او لا يكون ربح حتى تضطر الحكومات لوضع ضريبة ثقيلة على كل الناس بين عازب ومتزوج للكفالة بتربية اولاد المطلقين وتعليمهم ولعل هذا يكون خيراً من الحاضر من جهة كفالة الحكومة بصحة الاولاد وتهذيبهم وانشائهم على عادات واحدة طيبة ولكنه يكون شراً ما بعده شر من جهة اضطراب القرابة وضعف الشعور والحنو الى حد الفقد المطلق

دعوة الزواج

عهد الهوى بين الانام يطول ... ان كان منه للقران سبيل
والمرء يقتحم الصعاب لاجله ... بحسام عزم نصله مسلول
يرتاد ساحات الوغى مستبسلا ... والقلب من نفح الهوى مشمول
وترى المنون به اذا ما احدقت ... لا يثني عزماً وليس يحول
وعلى الجهاد تحثه آماله ... والمرء في آماله مجبول
لا ينتهي سعي الفتى عن مطلب ... ما لم يتم له اليه وصول
والنفس ان عاشت وضاع مرادها ... امسى لذيذ العيش وهو فضول
والمرء ان اضحى بدون مؤانس ... فالعيش في هذي الحياة ثقيل

* * *

ان الزواج لكل حي واجب ... هو علة وبه هو المعلول
بعض الحوائج يستعاض بغيرها ... الا الزواج فليس عنه بديل
سبب مديم للوجود كيانه ... ومركب ما افقد التحليل
ميل حواه كل مخلوق له ... روح على اظهاره محمول

* * *

يا ايها المغتر في غلوائه ... ان الزواج مع الشباب جميل
احثث ركابك للتزوج قبلما ... يطرا على نجم الشباب أفول
واختر لنفسك في الحياة اليفة ... فالعيش دون اليفة مملول